أسفت لأمر واحد فقط . وهو أن ذلك القلب الذي سمعته يبتهل إلى ربّه أن يجعلهُ « واحة تسقي القريب والغريب » لا يزال قارورة من الطين لا تبللها قطرة من ندى الحياة حتى تجففها ألف ريح سموم . لقد ابتهل ، ولا يزال يبتهل ، أن يرتوي ويروّي . وليت كل ابتهالٍ مجاب !

إنني عَطِش ، يا سيدتي ، مثلما أنت عطشى . وأفتش عن مناهل مثلما تفتّشين . والله يعلم أنني لا أقول ذلك تمسكناً أو تواضعاً . بل اعترافاً بما في القلب من قحط وجوع . وما في الروح من تجفف وتعطّش . وعندي أنّه إذا كان منّا من هو خليق بأن يُحسد فذاك أنتم ، معشر المتخلفين ، لا نحن . لأن لكم منهلاً عذباً تستقون منه ولا نَرِدهُ نحن إلا بالذكرى ، وفي الأحلام . أما ذاك المنهل فهو الشعب .

لست أعني بالشعب حكّامه ، ولا موظفيه ، ولا رؤساء أديانه ، ولا قضاته ومحاميه ، ولا أرباب صحافته وأولياء تجارته . بل أعني به ذلك المجموع الأصمّ الأبكم الذي قلمه المحراث ، ولسانه المنجل ، ومنبره الحقل ، وسامعوه السنابل والأشجار ، ومخدعه البيدر ، وقناديله النجوم . ذلك العدد غير المحدود الذي إذا تأفّفنا نحن من حرارة الشمس رفع وجهه نحو السماء هاتفاً : « تباركت شمسك يا ربّ التي تجعل الأرض صالحة لاقتبال الحبّة . والتي تنشط بالحبة من الموت إلى الحياة